منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الأيام للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5340) السنة العشرون - الاربعاء (4) كانون الثاني 2023

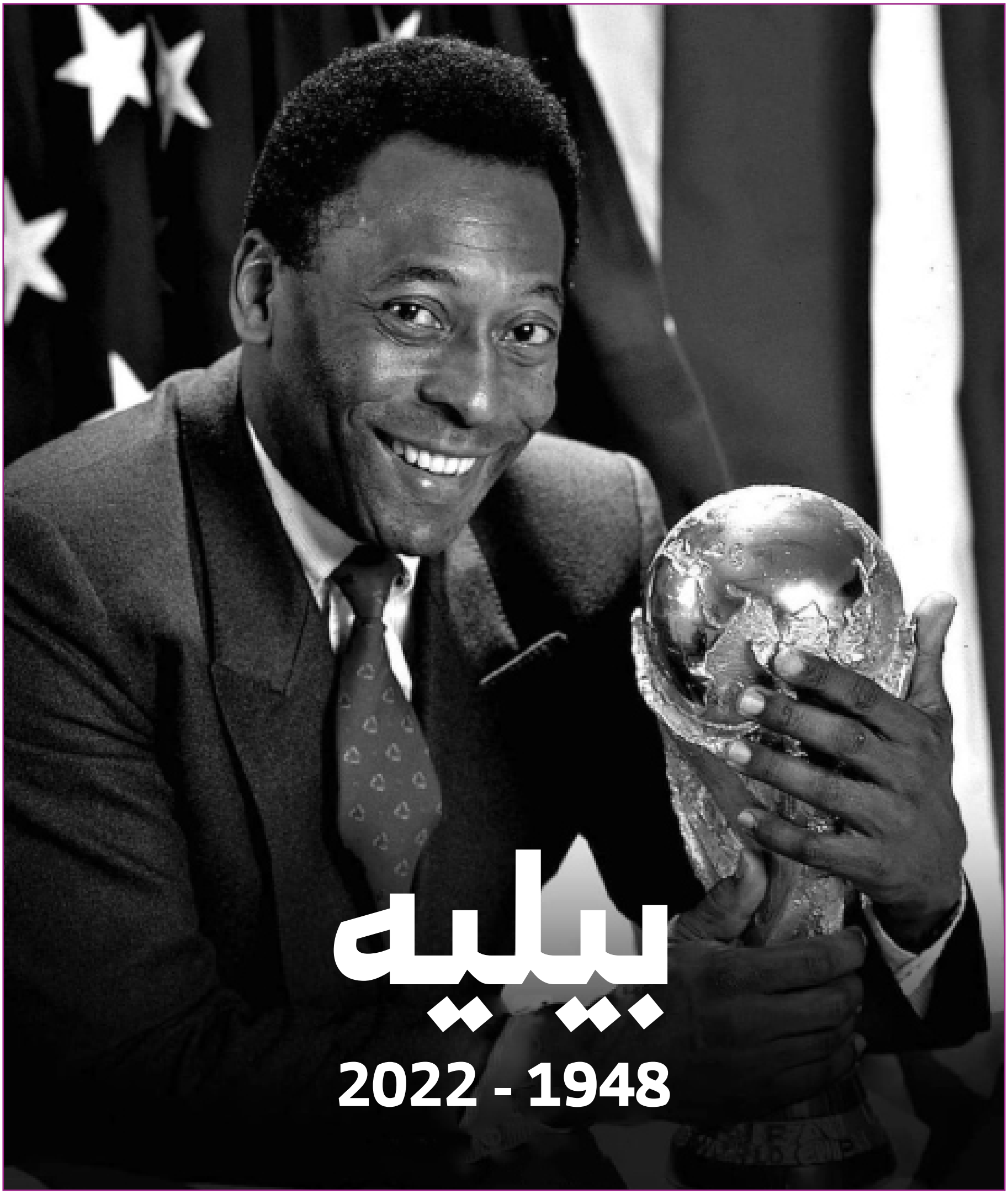

بيليه

2022 - 1948

حروب وإنقلابات وسحر... إرث بيليه في بلاد العرب

حين أحرز بيليه هدفيه في مرمى السويد في نهائي كأس العالم ١٩٥٨ ليقود البرازيل للقب كأس العالم الأول في تاريخها لم يحقق فقط وعداً قطعه لوالده بمنح البرازيل اللقب الذي فشل المنتخب البرازيلي في تحقيقه على أرضه في عام ١٩٥٠ بعد الهزيمة أمام أوروغواي، لكن كتب بداية مرحلة جديدة في تاريخ كرة القدم.

ظهور بيليه زامن مرحلة تحول كرة القدم إلى لعبة عالمية تتجاوز فيها شهرة نجوم اللعبة محيط تأثيرهم المعتاد، وكانت كرة القدم في تلك الفترة متعطشة لظهور منتخب يتسلم الراية من منتخب المجر العظيم بقيادة بوشكاش. أدركت البرازيل أنها ليست فقط بطلة العالم ولكنها تمتلك بيليه الموهبة الأفضل في كرة القدم الذي يسعى الجميع إلى مشاهدته على أرض الواقع، وسعوا إلى استغلال ذلك، ورأوا في عرض قدم من القاهرة فرصة سانحة لاستكشاف بيليه ورفاقه أرضاً جديدة بعيدة، لكن يمتلك شعبها شغف البرازيليين نفسه بكرة القدم.

الجوهرة السوداء في القاهرة

كانت العاصمة المصرية القاهرة أو عاصمة الإقليم الجنوبي في زمن الوحدة بين مصر وسوريا شاهدة على الظهور الأول لراقصي السامبا بقيادة بيليه، والذي لم يكن حينها قد أتم عامه العشرين بعد، لكن ما قدمه في ظهوره الاستثنائي في مونديال السويد وضعه في مكانة القائد لكرة القدم البرازيلية المكتظة بالمواهب.

عرض من مؤسسة "أخبار اليوم" المصرية لإحضار فريق البرازيل إلى الإقليم الجنوبي وافق عليه اتحاد كرة القدم في أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٥٩، ثم رحلة قطعها مسؤولو "أخبار اليوم" للاتفاق مع الاتحاد البرازيلي وعادوا منها بالموافقة، جعلوا المصريين ينتظرون عام ١٩٦٠ بشغف كبير لرؤية أبطال العالم وموهبتهم بيليه بعد أن سمعوا عنهم كثيراً وحان وقت رؤيتهم.

في زمن لم يكن فيه الوصول من أميركا الجنوبية إلى شمال أفريقيا بالسلاسة التي عليها الآن، قطع بيليه ورفاقه رحلة طويلة من ريو دي جانيرو إلى القاهرة استمرت يومين، مروا خلالها بداكار فلشبونة فمدريد فروما ثم وصلوا إلى بيروت قبل أن تهبط طائرتهم في القاهرة، ليجدوا المئات من محبي كرة القدم في مصر في انتظارهم في مطار القاهرة.

اليوم هو يوم الجمعة التاسع والعشرين من أبريل (نيسان) من عام ١٩٦٠، والمكان هو ملعب النادي الأهلي بالجزيرة، أما الحدث فهو الظهور الأول لبيليه ورفاقه في المنطقة العربية، حيث يواجهون منتخب الجمهورية العربية في مباراة احتشد لها أكثر من ٣٠ ألف متفرج.

شغف الجماهير برؤية منتخب البرازيل دفع عشرة مشجعين إلى أن يبيتوا في النادي الأهلي ليلة المباراة، ليضمنوا مقاعدهم في المدرجات في ظل سباق كبير من الجميع على حضور المباراة.

تقرير مجلة "آخر ساعة" الصادرة من القاهرة حينها، قال إن القاهرة لم تشهد في تاريخها هذا العدد من الجماهير في مباراة واحدة، ثلاثون ألفاً حضروا لرؤية أصحاب القمصان الصفراء يلعبون تحت شمس القاهرة.

حضر عبدالحكيم عامر الرجل الثاني في مصر حينها المباراة من المدرجات، ودعت مؤسسة "أخبار اليوم" كثيرين لرؤية ملوك كرة القدم، وكان من بينهم أفضل لاعبي الكرة الشباب في البلاد وهم أمهر من يلعبون كرة القدم في شوارع وحواري القاهرة، الذين وصلت شهرتهم حينها إلى شهرة نجوم أندية الدوري المصري.

آهات الجماهير

نزل بيليه ورفاقه إلى أرض الملعب ومع كل لمسة من نجوم البرازيل خرجت الآهات من الجماهير الحاضرة وكأنهم في حفلة لأم كلثوم. فشل نجوم المنتخب المصري في إيقاف المنتخب الأفضل في العالم على رغم أن بيليه لم يقدم ما هو منتظر منه في المباراة.

لعب بيليه المباراة وهو يعاني إصابة قوية في قدمه أجبرته على اللعب بحرص شديد لتجنب تفاقم الإصابة، ولم ينجح في زيارة الشباك، لكن منتخب البرازيل في تلك الفترة كان في أفضل مستوياته وكان نجومه قادرين على فرض سيطرتهم على المباراة مهما كانت الغيابات، ونجحوا في هزيمة أصحاب الأرض بخماسية نظيفة.

في القاهرة لم يلعب بيليه في أول مباراة بقوته الكاملة وحمل غارينشا هجوم البرازيل، في تجربة سيعيشها المنتخب البرازيلي بعد هذه المباراة بعامين حين أجبرت الإصابة بيليه عن الغياب عن معظم مباريات البرازيل في مونديال ١٩٦٢ في شيلي، فتكفل غارينشا وهجوم البرازيل بالمهمة وحققوا لقب العالم للمرة الثانية على التوالي في إنجاز لم ينجح أي منتخب بعدهم في تحقيقه.

ظهور بيليه الباهت في مباراته الأولى جعل الجماهير تتعجب من الشهرة الكبيرة التي امتلكها، بل إن البعض تمادى بوصفه بالنقطة السوداء في فريق البرازيل، وهو ما نقله إليه مدرب المنتخب البرازيلي حينها فيسنتي فيولا فكان الرد في المباراة التالية بعد يومين حيث فازت البرازيل مرة أخرى بثلاثة أهداف مقابل هدف واحد، وهذه المرة كان بيليه هو صاحب أهداف البرازيل الثلاثة في المباراة.

لعبت البرازيل ثلاث مباريات في رحلتهم إلى مصر خرجوا منها فائزين، أحرزوا ١١ هدفاً واستقبلت شباكهم هدفاً واحداً كان من نصيب لاعب الزمالك ومنتخب مصر نبيل نصير.

قبل أن تغادر بعثة البرازيل القاهرة استقبلهم رئيس الجمهورية حينها جمال عبد الناصر، وصافح بيليه في مشهد ختم به المصريون ترحيبهم ببعثة أبطال العالم، الذين أظهروا مهاراتهم في بلاد الفراعنة، وأمتع بيليه الجمهور المصري وأثبت لهم أنه النجم الأول لكرة القدم في العالم.

سامبا مزيفة في القاهرة

حين حققت البرازيل لقبها العالمي الثاني عام ١٩٦٢ في تشيلي وجد اتحاد كرة القدم المصري الفرصة سانحة لاستضافة ثانية لبيليه ورفاقه، فدعا نجوم السامبا لزيارة ثانية إلى القاهرة عام ١٩٦٣.

انتظر الجميع أن يشهد استاد القاهرة الكبير حدثاً مماثلاً لما شهده ملعب النادي الأهلي قبلها بثلاثة أعوام، فقد حضر بطل العالم ليلعب مباراة ودية مع منتخب مصر وكل شيء جاهز لصناعة يوم عظيم آخر لمحبي كرة القدم في مصر، لكن على رغم ذلك كان المشهد مختلفا هذه المرة، فلم يكن هناك زحام على التذاكر ولا مدرجات ممتلئة ولا كرة قدم رائعة، لأن بيليه لم يحضر مع بعثة البرازيل ولم يشارك في المباراة.

غاب بيليه فعزفت الجماهير عن الحضور، وعبرت الصحافة المصرية بعد المباراة التي انتهت بفوز البرازيل بهدف نظيف بأن البرازيل أرسلت للقاهرة منتخباً مزيفاً يضم عدداً كبيراً من الناشئين، وقال مدرب منتخب البرازيل حينها أيموري موريرا إن لاعبيه لم يقدموا الأداء المطلوب، وإنه لا يثق في قدرتهم على دعم المنتخب في كأس العالم ١٩٦٦ في إنجلترا.

شاهد على انقلاب الجزائر

بعد عامين عادت البرازيل مرة أخرى إلى المنطقة العربية هذه المرة إلى الجزائر التي كانت تستعد للذكرى الثالثة لاستقلالها عن فرنسا، تضمن برنامج الزيارة مواجهة أولى بين البرازيل ومنتخب الجزائر في وهران يوم ١٧ يونيو (حزيران) عام ١٩٦٥ وبعد ثلاثة أيام مواجهة أخرى في العاصمة.

حضرت البرازيل بكامل نجومها يتقدمهم بيليه من أجل المباراة، وقدمت أجمل فنون الكرة لجمهور الجزائر الحاضر وبينهم أول رئيس للبلاد بعد الاستقلال أحمد بن بلة، الذي كان حريصاً على استقبال بيليه ونجوم البرازيل والتقطت له صورة وهو يتوسط بيليه وغارينشا، والتي يعتقد أنها آخر صورة لبن بلة في منصبه كرئيس للجزائر.

مع وصول بعثة البرازيل إلى العاصمة الجزائرية من أجل لعب المباراة الثانية كانت الدبابات تسيطر على العاصمة، حيث قاد هواري بو مدين انقلاباً على بن بلة الذي تم القبض عليه في وهران، لتنتهي رحلة منتخب البرازيل في الجزائر بعد أن لعبوا مباراة واحدة وشهدوا على نهاية نظام.

أكرم الرئيس بن بلة بيليه ورفاقه، فمنحوه يومين آخرين في الحكم، حيث اقترح أحد مخططي الانقلاب القبض على الرئيس يوم المباراة، لكن الخوف من رد فعل الجماهير الحاضرة وكذلك طريقة استقبال ما حدث من الصحافة العالمية في ظل وجود أهم نجوم كرة القدم في العالم على أرض الملعب أطال عمر بن بلة في الحكم يومين آخرين.

عام ١٩٦٩ عاد بيليه إلى الجزائر مرة أخرى، لكن هذه المرة مع فريقه سانتوس لمواجهة المنتخب الجزائري على الملعب نفسه في وهران، لكن هذه المرة كان قد تغير اسم الملعب إلى ملعب "١٩ يونيو" احتفالاً بذكرى الانقلاب الذي كان بيليه شاهداً عليه قبل أربعة أعوام.

رحلة إلى الخليج

عاد «الجوهرة السوداء» إلى المنطقة العربية مرة أخرى عام ١٩٧٣، لكن هذه المرة ضمت رحلته منطقة الخليج العربي. حضر الملك بقميص سانتوس بعد أن أنهى مسيرته الدولية مع «السليساو» وهو بطل العالم ثلاث مرات، فقد أضاف في عام ١٩٧٠ في المكسيك لقباً ثالثاً للبرازيل في بطولة قدم خلالها أداءً استثنائياً آخر في رقصته الأخيرة على المستوى العالمي.

كانت كرة القدم في الخليج تخطو خطواتها الأولى من الهواية إلى الاحتراف، وبدأت مشاركات المنتخبات والأندية الخليجية في المسابقات القارية، وكانت زيارة فريق بقيمة وشعبية سانتوس في وجود بيليه كافية لقطع خطوات كبيرة في هذا التحول مع شغف أهل الخليج كغيرهم في العالم برؤية كرة القدم التي يقدمها بيليه.

البداية في الرياض

في التاسع من فبراير (شباط) ١٩٧٣ استضاف استاد الملز (استاد الأمير فيصل بن فهد حالياً) المباراة الأولى

بيليه والرقم 10... من صنع الآخر؟

فيديل سبيتي

من صنع أسطورة الآخر في عالم كرة القدم، بيليه أم الرقم ١٠ الذي ارتداه طوال مسيرته الكروية الاستثنائية الممتدة حتى عام ١٩٧٧. المسيرة التي تضم اللاعب وقميصه معاً بالتضامن والتكافل، فصار اللاعب أسطورة حاملاً معه رقمه الذي أصبح بدوره كالتميمة يتنافس عليها نجوم كرة القدم في العالم، لذا يمكن القول إن بيليه ومهاراته وموهبته وإصراره صنع الرقم ١٠، الذي استقل عنه في ما بعد ليشارك صنع لاعبين حول العالم باتوا مرتبطين بهذا الرقم بدورهم، وليس آخرهم الأرجنتيني ليونيل ميسي الذي حصد بعد طول انتظار لقب كأس العالم أخيراً مع فريقه لتكتمل سيرته الذاتية والمهنية عن آخرها.

لبيليه وفريق سانتوس في منطقة الخليج بعد دعوة من الاتحاد السعودي، الذي اتخذ قراراً حينها بلعب المباراة بصفوف المنتخب السعودي للشباب مدعوماً فقط بحارس المنتخب الأول أحمد عيد.

القرار كان الهدف منه دعم اللاعبين الصاعدين وتوفير احتكاك جيد لهم أمام النادي الأفضل في العالم، وفي حضور آلاف من الجماهير المتحمسة الداعمة لهم ليكونوا نواة لمستقبل كرة القدم في المملكة.

وتقدمت البرازيل بهدف لم يحمل توقيع بيليه فسكت الجالسون في المدرجات حزناً على تلقي شباكهم هدفاً، لكن حين أحرز بيليه الهدفين الآخرين في المباراة صفقت الجماهير تحية لبيليه، الذي رحل مع رفاقه بعد المباراة لجولة استمرت لأيام، لعب خلالها في الكويت والدوحة والبحرين والإمارات، وفي كل مرة ترك أثراً كبيراً في نفوس من شاهدوه وفي تطور لعبة كرة القدم في بلادهم.

في تلك الجولة أيضاً زار بيليه القاهرة مرة أخرى وواجه النادي الأهلي المصري في استاد القاهرة، وتسلم قبل المباراة وساماً منحه إياه الرئيس المصري حينها أنور السادات، كما لعب بيليه أيضاً مع فريقه ضد نادي الهلال السوداني وفي حضور رئيس البلاد جعفر النميري.

زيارة ضمن عشرات الزيارات التي قام بها بيليه مع البرازيل ومع سانتوس لأماكن كثيرة من العالم، لكنها بالنسبة إلى شعوب المنطقة العربية لحظات خالدة في الذاكرة، ليس فقط لقيمة بيليه ولكن لأنها كانت مرحلة مؤثرة في تاريخهم الكروي بعد ذلك.

هنا بيروت... فليستمتع الوطن ببيليه

عام ١٩٧٥ كانت طبول الحرب الأهلية تقرع في بيروت التي مزقها الصراع السياسي والطائفي، وطن كامل في طريقه إلى مصير مجهول ككرة ثلج تتحرك من دون أي إشارة إلى توقف.

في أبريل من عام ١٩٧٥ نجحت علاقات رئيس نادي النجمة اللبناني عمر غندور في الوصول إلى بيليه، الذي كان حينها لاعباً في صفوف فريق "نيويورك كوزموس" الأميركي ووجهاً إعلانياً لشركة بيبسي كولا.

طلبت واحدة من الجمعيات الخيرية من رئيس "نادي النجمة" إقامة مباراة خيرية مع أحد الفرق المحلية يعود إيرادها لدعم الجمعية، ففكر الرجل في أن يتحول اليوم إلى كرنفال رياضي وطلب من بيليه أن يكون ضمن الحاضرين في البلاد.

لم يلعب بيليه كرة القدم في بيروت من قبل، ووافق على الحضور إلى لبنان من أجل المشاركة في مباراة ودية بين نادي النجمة أحد أعرق أندية البلاد مع منتخب الجامعات الفرنسي.

في يوم المباراة بيعت كل التذاكر وحضر الآلاف من الجماهير إلى ملعب المدينة الرياضية لرؤية بيليه بقميص نادي النجمة. لم يلعب بيليه الدقائق الأولى من المباراة في مركزه المعتاد في خط الهجوم ولكن طلب من حارس مرمى النجمة حينها زين هاشم أن يرتدي قميصه ليلعب كحارس مرمى.

دافع بيليه في الدقائق الأولى من المباراة عن مرمى النجمة قبل أن يقرر المشاركة في خط الهجوم في باقي أحداث الشوط الأول، لتستمتع به الجماهير التي زحفت من كل مدن لبنان لرؤية الملك.

لعب بيليه شوطاً واحداً في المباراة وفي الشوط الثاني جلس في المقصورة الرئيسة ليتابع لاعبي النجمة يحققون الفوز بالمباراة.

بعد المباراة ومع نهاية الزيارة قال بيليه لرئيس نادي النجمة إنه سيتحدث دائماً عن الجمال الذي وجده في لبنان، ووعده بأن يتحدث للجالية اللبنانية الكبيرة في البرازيل بروعة وحلاوة وطنهم الأم ليحضروا لزيارته.

لم يمهل الوقت بيليه لينفذ وعده لرئيس النجمة، فبعد أسبوع واحد فقط اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية والتي استمرت خمسة عشر عاماً.

حين يتذكر الشعب اللبناني وطنهم قبل الحرب يذكرون يوم السادس من أبريل عام ١٩٧٥، حين جلسوا جميعاً كلبنانيين في مدرجات ملعبهم يشاهدون ملك كرة القدم في سعادة وابتسامة غابت عنهم طويلاً بعدها.

ترك بيليه بصمته كلاعب في الملاعب العربية كما فعل في كل ملعب شهد حضور الملك الذي عرّف العالم إلى كرة البرازيل. أرادته البرازيل أن يكون سفيراً لها فأصبح سفيراً للعبة الأجمل في العالم، وحافظ على صلته بالمنطقة العربية وزياراته لها حتى بعد اعتزاله كرة القدم.

عن الاندبندنت عربية

وكما استحق الرقم حامله الأول بيليه بعد أن كان مهملاً كأي رقم من الأرقام، صار اللاعبون يحصلون عليه اليوم بعد إثبات جدارتهم في استحقاقه، الجدارة الشبيهة بتلك التي كان يملكها بيليه والمرتكزة على أسلوبه الخاص في اللعب وعلى فنونه في تقديم الذات وإظهار القدرات الكامنة التي شكلها خليط الموهبة والتدريب والإصرار والدبلوماسية وحب الظهور والتمجيد العام من الشعب البرازيلي ومشجعي البرازيل حول العالم، الذين صنع معظمهم أيضاً، بيليه.

انتقلت طريقة لعب بيليه الشبيهة برقصة السامبا البرازيلية إلى لاعبين برازيليين وعالميين منذ سطوع نجمه عالمياً حتى اليوم. وكذلك انتقل الرقم ١٠ الذي رافق بيليه في مسيرته إلى اللاعب الأكثر جدارة ونجومية في الفريق، سواء في المنتخبات أو في فرق الدوري الوطني. وكثر من مرتدي الرقم ١٠ أصبحوا بدورهم أساطير في عالم كرة القدم وما زالوا على عروشهم حتى اليوم، وعلى رأسهم اللاعبان الأرجنتينيان أرماندو ديبغو مارادونا وليونيل ميسي، والفرنسيان اللامعان ميشال بلاتيني وبعده زين الدين زيدان، والبرازيليان رونالدينيو ونيمار أخيراً، واللاعب الألماني الشهير لوثر ماتيوس، والإيطاليان روبرتو باجيو وفرانشيسكو توتي.

وعلى رغم تنقل الرقم عشرة فوق ظهور كل هؤلاء النجوم الذين يستحق كل واحد منه مجده الخاص إلا أن الرقم ١٠ لا يزال يرتبط حتى اليوم ببيليه الذي انتشله من عالم الأرقام ليجعل منه نجماً في عالم كرة القدم بعد أن كان قبله كبقية الأرقام الأخرى، وحين لمع مارادونا منذ بداية الثمانينيات، أضاف إليه قيمة على قيمة.

كيف صار الرقم 10 نجماً يريده الجميع؟

يبدأ الأمر من الأرقام في فريق كرة القدم المؤلف من ١١ لاعباً على أرض الملعب، وبما أن حارس المرمى يحمل الرقم واحد، فإن الأرقام المتبقية توزع على اللاعبين الآخرين، وآخر هذه الأرقام هو الرقم ١١، هذا على رغم أن لكل لاعب أن يختار الرقم الذي يريده ليدافع عنه، وليس بالضرورة من بين الأرقام الأحادية، ولكن الرقم ١٠ في الأساس يحمل رهبته الخاصة، فهو مؤلف من أول رقمين، وهو الرقم الذي نعرف من خلاله النظام العشري، مثل نظام القياس المتري، وهو مختلف عن القياس «الميلي» (الميل بدل الكيلو متر والقدم بدل المتر حيث العشرة وحدة أساسية) ونستخدم النظام العشري في قياس الحرارة بالدرجات المئوية (بعيداً من تعقيدات نظام فهرنهايت) وكذلك نستخدمه في الوزن حيث الكيلو محل الباوند والليتر محل الغالون، وحيث تم اعتبار أن وزن ليتر من الماء هو كيلو واحد وعلى هذا الأساس أعطيت كثافة السوائل الأخرى قيمة عددية فيقال إن كثافة الزئبق تبلغ كذا وكثافة البنزين كذا. وأخيراً بعد اكتشاف الكومبيوتر أعيد الاعتبار أيضاً للرقمين ١ و٠، حيث باتا الرقمين المرتبطين بعمل الكومبيوتر وتطور خوارزمياته.

الرقم ١٠ يحمل جاذبيته في شكله ومن ثم في كونه رقماً نستخدمه بكثرة في حياتنا اليومية وفي مختلف المناطق الجغرافية وبين ثقافات مختلفة. فالرقم ١٠ مثل كرة القدم نفسها، عابر للحدود وللثقافات والاختلافات بين البشر، وكان ينقصه المنافسة عليه كي يصبح مثل كرة القدم، مطلباً بحد ذاته، أي ذا قيمة خاصة ومستقلة به وعن اللاعب الذي يرتديه، وهذه المنافسة خلقها بيليه منذ اختياره الرقم ١٠ ومن ثم جعل هذا الرقم ذا قيمة خاصة تمنح هيبة للاعبين. فلو أي لاعب ولو كان شهيراً ارتدى الرقم ١٠ لن نشعر أنه، أي الرقم ١٠، هو الذي يستحق اللاعب، بل سنرى إذا كان هذا اللاعب هو من يستحق الرقم، فقد بات الرقم أقوى من حامله الذي عليه أن يثبت تفوقه على أقرانه ليستحقه.

ولو ارتدى هذا الرقم لاعب لا يقوم عن مقاعد الاحتياطي إلى الملعب، فسنشعر من دون شك بأن الأمر مجرد طرفة أو مقلب كوميدي. وفي حال كان الأمر حقيقياً فإنه سيثير دهشة جميع المشجعين حول العالم من دون استثناء، وربما يثير غضبهم. فالرقم ١٠ لا يغيب عن أرض الملعب منذ زمن بعيد، وهو موصول بحامله. وإذا كان من يحمله لاعباً احتياطياً فلا بد أن هذا يعني موت الرقم على هذه المقاعد.

رحلة بيليه إلى الشيخوخة و10 إلى المزاد

بداية القصة كانت في ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٧٠ حين فازت البرازيل ٤-١ على إيطاليا في المباراة النهائية لمونديال المكسيك. وفي هذا اليوم تم منح بيليه لقب «الملك». وفي ذلك اليوم قال المدافع الإيطالي تارشيزيو بورجنيتش الذي أرهقته ملاحقة ملك الملعب ومحاولة صد هجومه، «اعتقدت أن بيليه من لحم ودم مثلنا لكنني عندما واجهته وجدت أنه من كوكب آخر». منذ تلك المباراة بعد صعود بيليه الصاروخي في عالم كرة القدم والنجومية وكذلك صعود الرقم ١٠ معه، إلى أن تم بيع قميصه الذي ارتداه في تلك المباراة النهائية بعد ٣٢ عاماً لاحقاً في دار «كريستيز» في لندن بـ١٣٦ ألف و٩٢٤ دولاراً.

والعلاقة بين القميص "١٠" وبيليه كانت مثمرة جداً، فقد خاضا معاً ١٤ مباراة رابحة مع منتخبه في أربعة مونديالات وسجلا فيها ١٢ هدفاً، وتم تتويجهما، بيليه وقميصه، ثلاث مرات بلقب كأس العالم. وعليه يمكن القول بوضوح إنها كانت رحلة مليئة بالأضواء والشهرة سارا فيها معاً قبل أن ينتقل القميص إلى حياة أخرى بعد بيعه في المزاد بينما انتقل بيليه إلى الشيخوخة رويداً رويداً.

بيليه ومارادونا حصلا على الرقم ١٠ عن طريق الحظ والصدفة. لنعد إلى البداية، منذ وضعت الأرقام على قمصان اللاعبين في عام ١٩٢٨ في الدوري الإنجليزي ارتدى اللاعبون أرقاماً متسلسلة من ١ إلى ١١ وذلك حسب مراكزهم في الملعب، وقد نال صانع الألعاب أو المهاجم الثاني خلف رأس الحربة الرقم ١٠، وعلى مدى ثلاثة عقود بقي الأمر بلا أية أهمية تذكر. إلا أن ظهر في مونديال السويد ١٩٥٨ الفتى البرازيلي الأسمر البالغ من العمر وقتها ١٧ سنة، وكان الاتحاد البرازيلي لكرة القدم قد أرسل قائمة بأسماء لاعبيه المعتمدين في البطولة من دون أن يخصص لكل منهم رقماً، لذلك قام المدرب في غرفة الملابس بتوزيع القمصان بطريقة عشوائية على اللاعبين، فوقع ما سيصبح قدراً بحد ذاته للرقم ولصاحبه، حين سقط القميص في يد لاعب فتى ومبتدئ لم يلعب خارج البرازيل قبل ذلك. كان الفتى بيليه.

عن الاندبندنت عربية

كتاب الأسطورة بيليه .. قصة حياتي

د. محمد مخلوف

بيليه هو« ايقونة عالمية».. إنه ليس مجرد لاعب كرة قدم هائل قادر على إلهاب مشاعر مدرجات كاملة وإنما هو أيضاً رجل عظيم في خدمة القضايا النبيلة، هكذا يقدم ناشر هذا الكتاب، «ملك كرة القدم»لقارئيه.

استرعى بيليه انتباه مدربي كرة القدم وهو في الحادية عشرة من عمره عندما كان يمسح الأحذية للحصول على بعض النقود القليلة والتمتع بمشاهدة مباريات كرة القدم، وأصبح لاعباً محترفاً وهو في الخامسة عشرة من العمر، وبعد عامين فقط شارك في بطولة كأس العالم لكرة القدم ليقود بلاده للفوز في المباراة النهائية ضد السويد بخمسة أهداف مقابل هدفين.

»مـن أنا« ؟ يتساءل بيليه في تقديمه لهذا الكتاب. ويجيب: »أنا طفل كان يتسلّى في الشوارع بحذاء محشو بالخرق قبل أن يصبح لاعب كرة قدم يلعب بكرة حقيقية، وعلى أرض ملاعب رسمية ومجهّزة وفي إطار فرق كتبت التاريخ. رأيت العالم وقابلت شخصيات فريدة ورائعة، ولم أكن أتصور أبداً أنني سأسمو إلى هذا العلو».

بيليه وُلد فقيراً في بيت مبني بأحجار القرميد التي جرى جمعها من هنا وهناك.

عام ١٩٤٤ تغيرت حياة الأسرة بعد أن أصبح والده لاعب كرة أسماه والده اديسون بعد وصول الكهرباء إلى مدينته!

»مهما كان عدد السنوات التي تفصلنا عن فترة شبابنا الأولى فإننا لا ننساها أبداً«، هكذا يبدأ »بيليه« حديثه عن قصة حياته، فالذكريات هي بالنسبة له مثل فيلم لا يراه سوى صاحبه، بينما تشكل الطفولة الجزء الأفضل من هذا الفيلم.

»بيليه« من مواليد بلدة »تريس كوراسويز« أي »القلوب الثلاثة« الموجودة شمال مدينة »ريودوجانيرو«، ومنطقتها ثمينة بالمعادن خاصة الذهب الذي كان قد جذب بسبب وفرته وقيمته الكثير من المستعمرين البرتغاليين الأوائل الذين أقاموا فيها.

ولد بيليه يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠، يقول: »لقد ولدت فقيراً في بيت مبني بأحجار القرميد التي جرى جمعها من هنا وهناك، لكنه لم يكن منزلاً متيناً، كما قد يتبادر إلى الذهن فحالته البائسة كانت بادية للعيان وبأنه قد ينهار في أية لحظة، الشارع الذي يتواجد فيه هذا المنزل يحمل اليوم اسم »بيليه«.

وتحكي جدته له أنه يوم ولادته كان طفلاً صغير الحجم جداً، وكان التعليق الأول لعمه جورج »بكل الحالات أنه أسود تماما«. فاقترب منه والده دونديتو »وأمسك بساقيه النحيلتين وقال: »سوف يصبح لاعب كرة قدم كبيرا«.

كانت والدة بيليه ابنة سائق عربة خيل في بلدة »تريس كوراسويز«. أما والده جواد راموس دو ناسيمنتو«، الملقب بـ »دونديتو« فقد صادف والدته عندما كان يؤدي الخدمة العسكرية في تلك البلدة التي قدم إليها من قرية صغيرة تبعد عنها حوالي مئة كيلومتر.

وكان الأب لاعب كرة قدم مع فريق »اتليتيكو« الذي كان نادياً للهواة ولا يدفع تقريباً أي شيء للاعبين.. ولم تكن هناك آنذاك أية مكافأة عند الفوز في المباريات. فكل ما كان يؤمنه لقب لاعب كرة القدم هو الشهرة مع نيل بعض المكانة الاجتماعية.

ويشير بيليه أن الكهرباء قد وصلت إلى بلدته قبل ولادته بفترة قليلة. ومن أجل الاحتفال بذلك الحدث أطلق عليه والده اسم »اديسون« مثل مخترع الكهرباء الشهير »توماس اديسون« ولا يعرف »بيليه« سبب كتابة تاريخ ميلاده خطأً، ذلك أن جواز سفره الأول يحمل تاريخ ٢١ أكتوبر بدلاً من ٢٣، ولا يزال هذا الخطأ ساري المفعول حتى الآن.

حياة صعبة

لم تكن حياة الأسرة سهلة في بلدة »تريس كوراسويز« وقد أصبحت أكثر صعوبة بعد ولادة أخيه جايير »زوكا« الذي ولد في المنزل نفسه الذي رأى بيليه فيه النور. لم تكن الأم ترغب أبداً بأن يصبح الطفل لاعب كرة قدم مثل والده، بل تطمح بأن يصبح »طبيباً« فهذا »طموح معقول«.

وهذا ما يعلق عليه »بيليه« بالقول: »تعرفون ما جرى فيما بعد«، إذ أنني أحببت كرة القدم بمقدار ما أحبها والدي«، ذلك أن والده كما يشرح لم يكن يتقن أي شيء بمقدار اتقانه لكرة القدم وكان مثله مثل عشرات الآلاف من الشباب البرازيليين، يأمل بأن يبتسم له الحظ ويستطيع أن يؤمن لأسرته سبل عيشها بواسطة »المهنة« التي يحبها أي أن يصبح لاعباً محترفاً في ميدان كرة القدم.

وكاد ذات يوم أن يحقق حلمه، كان ذلك عام ١٩٤٢ »آتليتي كو مينيرو« أفضل ناد في مدينة »بيلوهوريزانت« عاصمة منطقة »ميتاس جيريس«.. لقد كان نادياً معروفاً على المستوى الوطني البرازيلي، وكان يلعب مع »الكبار« وكان اختباره الأول هو مباراة ودية مع نادي »ساو كريستوفاو« من ريو دي جانيرو، العاصمة، وكان يضم في عداد لاعبيه المدافع »اوغوستو« الذي سيصبح »كابتن« فريق البرازيل لخوض مباريات كأس العالم عام ١٩٥٠. وفي تلك المباراة التجربة الأولى اصطدم »اوغوستو« مع والد بيليه أثناء اللعب ما أدى إلى جرح خطير في ركبة هذا الأخير ما منعه من لعب مباراة الاختبار الثانية.. هكذا انتهى حلمه في أن يكون بين »النخبة«.

ويصف بيليه والده بأنه كان »لاعب كرة جيد.. وهدّاف، طوله مئة وثمانون سنتمتراً، وبارعاً بضربات الرأس« وكان هناك آنذاك لاعب برازيلي شهير بضربات الرأس اسمه »بالتازار« مما جعل المقربين من والده يطلقون عليه تسمية »بالتازار الارياف«.

ويقول بيليه كانت كرة القدم في دم اسرتنا وكان عمه فرانسيسكو الذي توفي في سن مبكرة مهاجماً جيداً، وأفضل من والده حسب قوله وقد روى أصدقاء والده له أن اباه كان قد سجل خمسة أهداف برأسه في مباراة واحدة، لكن صغر سنه آنذاك يمنعه من تذكر ذلك،

ويروي أيضاً في هذا السياق إلى أنه عندما سجل هدفه الرقم ١٠٠٠، قام بعض الصحافيين بالتحقيق للتأكد من معلومة تسجيل والده لخمسة أهداف في مباراة واحدة! وقد توضح لهم أن المعلومة صحيحة، فقالوا: إن الرقم القياسي الوحيد الذي لا يعود لبيليه إنما يعود لوالده.

وفي عام ١٩٤٤ استجد الحدث الذي غيّر مجرى حياة أسرة بيليه كلها، وخاصة مجرى حياته هو شخصياً. لقد تلقى الأب آنذاك دعوة من نادي »بورورا لكرة القدم في شمال غرب ساوباولو. واقترحوا عليه بالوقت نفسه أن يكون أحد أفراد فريق النادي، وموظفاً في الحكومة المحلية.

وكانت فرحة الأم كبيرة بأن وجد زوجها أخيراً عملاً في القطاع العام، ما يعني تأمين دخل ثابت واستقرار حياة الأسرة. لقد استقلت الأسرة كلها القطار في الطريق نحو »بورورا« وقد كان ذلك »رائعاً جداً« كما يصف بيليه الرحلة ليؤكد قوله: »كانت الذكرى الحقيقية الأولى في حياتي«.

كان عمره آنذاك يبلغ الرابعة بالكاد وكان قد أمضى الرحلة كلها ووجهه ملتصق بالنافذة، نافذة القطار، كي لا يفوته شيء من المناظر التي تتوالى أمام عينيه. ولا ينسى أن يشير إلى أنه من حسن حظه كان القطار يسير ببطء شديد.

»لقد اكتشفت بلادي للمرة الأولى« على حد قوله. ثم يضيف أنه كاد أن يسقط من النافذة عندما اجتاز القطار أحد المنعطفات، إلا أن والده أمسك به وجذبه بقوة إلى الخلف. كان يمكن لوجودي على الأرض أن ينتهي في ذلك اليوم، لكن ينبغي الاعتقاد أن الإله قد حماني«.

التخلص من الفقر

وصلت الأسرة إلى »بورو« بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٤٤.. وهناك استطاع الأب أن يعبر عن قدراته كلاعب كرة قدم وأن يتخلص بالوقت نفسه من المتاعب المالية التي واجهته دائماً قبل ذلك. وأحس »بيليه« أنه يعيش في »مركز العالم«.

فمدينة »بورو« كانت أكبر بكثير من كل الأماكن التي عاش بها أو رآها.. إذ كانت فيها مخازن ودار سينما وفنادق عدة. وكان عدد سكانها يبلغ ثمانين ألف نسمة، أي ما كان يعتبر بلده كبيرة داخل البرازيل. هذا فضلاً عن أنها كانت ملتقى خطوط حديدية عدة. لقد كانت مدينة جديدة بالنسبة لبيليه وبالتالي بداية لحياة جديدة.

لكن الأمور تعقّدت منذ البداية، ذلك أن نادي »لوزيتانا« الذي كان قد قدّم العقد لوالده انتقل إلى يد مالك آخر، وغيّر اسمه ليصبح »نادي اتليتيك يورو«. ولم يحترم المسؤولون الجدد التزامات سابقيهم، فإذا كانوا قد احترموا القسم الخاص باللعب في الفريق الرياضي فإنهم لم يحترموا الالتزام بالعمل الوظيفي، والذي كان في الواقع السبب الرئيسي لقدوم الأسرة إلى مدينة »يورو«. و»هكذا رجعنا إلى النقطة التي انطلقنا منها، بينما ازداد عدد أفراد الأسرة بولادة ابنة«.. هذا بالإضافة إلى العم جورج وجدة بيليه من ناحية أمه التي قدمت للإقامة معهم.

في عام ١٩٤٦ فاز فريق الأب ب»بطولة المناطق الداخلية« من البرازيل والتي كان يشارك فيها أفضل النوادي.. »لقد سجل والدي عدداً كبيراً من الأحداث، وأعلنوا أنه أفضل لاعب في الدوري«. هكذا عمّت شهرته في المنطقة كلها.

لكن هبّت الرياح مرّة أخرى بما لا تشتهي السفن.. إذ ساءت حالة ركبة الأب، وأمضى بيليه الكثير من الوقت وهو يضع الضمادات الباردة على ركبة أبيه الذي تضاءلت مشاركته في المباريات شيئاً فشيئاً، ثم توقفت نهائياً. وكانت فترة جديدة صعبة في حياة الأسرة قد بدأت.

يقول بيليه: »كنا زوكا اخوه ـ وماريا لوسيا ـ اخته ـ وأنا نمشي حفاة القدمين، ولم نكن نلبس سوى الثياب المستعملة. وكان بيتنا الذي تتخلل الأمطار سقفه صغيراً جداً علينا كلنا. وأتذكر أنه لم يكن لدينا أحياناً أي دخل منتظم وكانت أمنا تعطينا أحياناً قطعة من الخبز والقليل من الموز كوجبة طعام«..

ثم يشير بأنه، هو واخوته، لم يعرفوا »المجاعة« تماماً، على عكس الكثير من البرازيليين، ولكن كان هناك خوف مستمر من عدم إيجاد ما يؤكل في المنزل. وكان ذلك درساً كبيراً يعبر عنه بيليه بالقول: إن أحد الأشياء التي تعلمتها خلال ٦٥ سنة من عمري هو أن الخوف من الحياة أكثر ما يثير الرعب في النفوس.

بيليه الملك الأسود

حسن مدن

الاسم الحقيقي لأيقونة كرة القدم البرازيلي بيليه هو: أديسون. ولتسميته بأديسون حكاية. فالكهرباء لم تصل إلى منزل عائلته في جنوب شرق البرازيل، إلا قبل أيام قليلة فقط من ولادته، في العام ١٩٤٠، فقررت العائلة الاحتفاء بالحدث بأن أسمت الطفل الوليد بأديسون، ليغدو لاحقاً بيليه الذي أبهر العالم، وينظر إليه الكثيرون على أنه بطل كرة القدم عبر التاريخ، الذي لا ينازعه على اللقب منازع، حتى أنه ينسب لأحد المختصين قوله: «إن كرة القدم اخترعت من أجله».

نترك مهارات بيليه الكروية لأهل الاختصاص، ونقارب الموضوع من زاوية أخرى أتينا عليها، غير مرة، خلال أسابيع مونديال الدوحة، هي العلاقة بين كرة القدم والهوية، التي تتجلى بأوضح صورها في سيرة بيليه الكروية والإنسانية، وهو أمر سلط عليه بعض الضوء المحرر في هيئة الإذاعة البريطانية، مالو كورسينو، بريطاني الجنسية على ما يبدو، ولكن من أصول برازيلية، ويتحدر من العرق الأسود في البلد الناطق بالبرتغالية، لذا كان مهتماً بإبراز مشاعره تجاه بيليه الذي يشاطره العرق ولون البشرة نفسيهما.

يشير الكاتب إلى أنه ما إن أعلن عن رحيل بيليه، حتى عجّت مجموعة الدردشة الجماعية على هاتفه، التي تجمعه مع أفراد عائلته الممتدة، بالتعليقات حزناً وتأثراً، لكن أكثر ما علق في ذهنه كان التعليق الذي كتبته خالته، وفيه لاحظت أن وسائل الإعلام البرازيلية، أثناء حديثها عن حياة بيليه، استخدمت عبارة «ملكنا الأسود».

ولكي ندرك خلفية ذلك علينا العودة إلى تاريخ العبودية في البرازيل، وفي القارة الأمريكية الجنوبية عامة، بل وفي الشمالية أيضاً، فبيليه «ارتقى إلى مكانة الكنز الوطني في بلد له تاريخ عميق من العبودية وإرث من الانقسام»، وكان يواجه في بدايات صعوده في الملاعب بنعوت وألقاب عنصرية، وحين فاز أول مرة بكأس العالم كان قد مضى سبعون عاماً فقط على إلغاء العبودية في بلاده، وحسب «ويكيبيديا» فإن البرازيل، خلال عصر تجارة الرقيق في المحيط الأطلسي، استقبلت عبيداً أفارقة أكثر من أي بلد آخر، حيث أحضر إليها قرابة سبعة ملايين إفريقي حتى بداية خمسينات القرن التاسع عشر.

عودة إلى محرر بي. بي سي إياه الذي نقل عن أمه قولها: «لقد سمح لنا، نحن البرازيليين السود، بأن نرى واحداً منا يُشاد به من قبل الجماهير، ويُعتبر ملكاً، وأيقونة للبلد بأسره».

ماسح الأحذية

ساهم جميع أفراد الأسرة في تأمين عيشها. فالعم جورج عمل في إحدى المؤسسات. وكانت العمّة «ماريا»، أخت والد بيليه، تجلب لهم بين الفترة والأخرى الأطعمة، وأحياناً الملابس، عندما تأتي لزيارتهم من ساوباولو. وعن نفسه يقول بيليه: «أنا أيضاً شمّرت عن ساعدي وافترض أن عمري كان سبع سنوات عندما جمعت، بمساعدة عمّي جورج، المال الكافي لشراء العدة المطلوبة لمسح الأحذية، وكنت على قناعة بأنني سوف أجمع الأموال الكثيرة عبر تلميع الأحذية في الأحياء الراقية». لكن والدته أصرت على أن يمارس «مهنته» في المناطق القريبة من المنزل ولدى أبناء حيهم..«لكن بسبب أن نصف سكان شارعنا كانوا حفاة لم أقتنع بحججها»،يردف بيليه مع تأكيده بأنه لم يتجرأ على مخالفة والدته «السيدة سيليست» وبقي في الجوار حيث أخذ يضرب على الأبواب من أجل تقديم «خدماته» كماسح أحذية. ويؤكد بيليه أن الجميع كانوا لطفاء معه، أن مشكلته هي أنه لم يكن عنده سوى زبون واحد، ولم يكن يعرف ما هو الأجر الذي ينبغي أن يطلبه منه.

يقول: «كان الدرس الأول هو معرفة الزبائن الذين ينبغي التوجه لهم. والدرس الثاني معرفة الأجور. انهما مبدآن لم أحفظهما أبداً طيلة حياتي». لكن بيليه أدرك أن اتقان مهنة مسح الأحذية كان له فائدة جانبية. إذ كان يتدرب على «المهنة» عبر مسح حذاء والده لكرة القدم وكذلك الحذاء الذي كانت عمته ماريا قد جلبته له من ساو باولو وكان لابن «رب العمل» الذي تشتغل عنده.

مع ذلك يؤكد بيليه قوله: «لم أكن أنتعلها إلا في المناسبات الخاصة وقد احتفظت بهما حتى ذلك اليوم - ربما كانت تلك المناسبة الأكثر خصوصية من بين جميع المناسبات - الذي أردت فيه أن أرى ماذا يفعل ضرب الكرة بحذاء بدلاً من ضربها بأقدام عارية.

استطاع «بيليه» أن يقنع والدته بعد ذلك بأنه ينبغي توسيع دائرة مسح الأحذية بأبعد من شارعهم وقد قبلت مكرهة أن يرافق أباه إلى ملعب نادي «يورو اتليتيك» في أيام المباريات فهناك سيكون ما يكفي من الأحذية لمسحها ثم انه يبقى تحت رقابة والده ولو من بعيد. هكذا كان يتنقل في مدرجات الملعب، وقد عاد من هناك ببعض النقود. ودفع هذا «النجاح» والدته إلى التساهل أكثر، وهكذا أبدأ بـ «العمل» في محطة القطار.

بعد عام تقريباً من مزاولة مهنة مسح الأحذية تحسنت أحوال الأسرة إذ وجد الأب عملاً في مركز طبي - اجتماعي حيث كان يقوم بعمليات التنظيف والترتيب والنقل. لكن كانت الحكومة هي التي تدفع المرتب مما أمن قدراً أكبر من الاستقرار بالقياس إلى فترة الأعمال الصغيرة السابقة. يقول بيليه: «وللمرة الأولى منذ سنوات ابتعد شبح البؤس عن منزلنا، لكنه لم يختف بشكل كامل».

صرامة وعقوبات

بالإضافة إلى «العمل» كانت أمه صارمة جداً فيما يتعلق بضرورة ذهابه إلى المدرسة. وكان يفترض نظرياً أن يبقى أربع سنوات في المدرسة الابتدائية قبل إمضاء نفس المدة تقريباً في التعليم المتوسط. ثم يذهب بعدها التلامذة المجدين والمثابرين إلى الثانوية فالجامعة. كان ذلك يمثل ذهراً بالنسبة للطفل الصغير.

يقول: «كان إرسال طفل فقير إلى المدرسة يتطلب إعداداً كبيراً. وكانت أمي وجدتي تخيطان لي سراويلي القصيرة الممزقة وكذلك القمصان المصنوعة من أقمشة أكياس القمح (من القماش الجيد، ١٠٠٪ قطن)».

ويذكر أن أهله اشتروا له مجموعة أقلام ملونة استهلكها خلال زمن قياسي إذ كان يرسم كل ما يراه أمامه. وفي اليوم الأول رافقه أبوه إلى المدرسة.. كان منضبطاً في البداية لكنه سرعان ما أصبح «مهرج» الصف، على حد قوله.

وقد عاقبته مدرسته كثيراً بالركوع على حبات من الفاصولياء «القاسية كالحصى» ومما «ساهم في تقوية ركبتي من أجل العمل الذي ينتظرهما لاحقا»، كما يحكي بيليه.

باختصار يصف نفسه بأنه «لم يكن تلميذاً لامعا». لكنه يستدرك قائلاً: «كنت أريد التعلم ولم أكن غبياً، لكننا كنا، المدرسة وأنا، عالمين متنافرين». ويذكر أنه كان يحلم عندما كان عمره سبع أو ثماني سنوات بأن يصبح طياراً.

وقد كان يذهب غالباً إلى مقربة من «نادي الطيران» كي يتفرج على إقلاع الطائرات وهبوطها. لم يرفض والده الفكرة عندما عرضها الطفل عليه وإنما قال له بأن ذلك يتطلب منه القراءة والكتابة أولاً. لقد حدثه عندها «للمرة الأولى بجدية من رجل إلى رجل».

هكذا أصبحت المدرسة هامة بالنسبة للابن الذي أدرك بأنه لن يضع قدمه في طائرة كملاح إلا إذا تعلم. كانت مدينة «بورو» قد أصبحت «مدينة» الطفل ثم المراهق أديسون (بيليه).. وقد تعرف فيها على كثير من الأصدقاء بينهم سود وبيض بل وبعض اليابانيين.

السباحة

«كان الشيء الوحيد الذي يثير اهتمامي فعلاً هو الملعب»، كما يقول ثم يضيف: «إذا كان هناك شيء لم أكن أتعب منه أبداً فهو السباحة». وكان يذهب غالباً مع أصدقائه للسباحة حتى في النهر المحاذي لسكة القطار.

كانوا يهربون من الدورس من أجل ممارسة هوايتهم. وكاد بيليه ان يغرق ذات يوم بصحبة رفيق له عندما مد لهم رجل عابر ما يمسكون به للاقتراب من الشاطئ بعيداً عن مجرى تيار النهر. يقول بيليه عن تلك الحادثة «عندما هدأت انفعالاتي، اعتراني الإحساس بأن الإله يرعاني، مثلما حدث في المرة الأولى عندما كدت أن أسقط من القطار».

كان بيليه ورفاقه يسبحون في النهر بثياب المدرسة ثم كانوا ينشرونها على أغصان الاشجار إلى ان تجف.. لكن والدته كانت تكتشف بعض المرات لطخات الوحل على ثيابه مما كان يدفعها لصفعه.

يقول: «عندما أصبحت أباً فقط أدركت كم كانت أمي رائعة. ورغم انها قد وصفتني ذات يوم بأنني ابن نموذجي، فإنني كنت أعرف كم هي الحقيقة بعيدة عن ذلك، على الأقل خلال سنوات طفولتي».

وكانت والدته ترغمه أحياناً على البقاء في البيت للدراسة.. أي حرمانه من رفقة أصدقائه وإنجاز وظائفه بالوقت نفسه، في ظل الرقابة الصارمة. بكل الأحوال لم تكن المدرسة والدراسة هوى الطفل بيليه، وانما كان مصدر سعادته خلال تلك السنوات كلها يكمن في كرة القدم.

يقول «ان كل ما أملكه أنا مدين به لكرة القدم. ولو كنت استطيع تغيير اسمي لجعلته اديسون ارانتس دوناسيمونتو فوتبال». انه يرى في كون والده لاعب كرة قدم نقطة الانطلاقة الحقيقية في مسيرته اذا كان مثل الكثير من الأطفال يريد تقليد والده «لقد كان يسجل الكثير من الأهداف وانتزع إعجاب الجميع،ولم أكن أحلم بأن ألعب ذات يوم باسم البرازيل أو أن أفوز بكأس العالم، لاشيء من هذا كله وإنما كنت أكرر دائماً لأصدقائي: ذات يوم سأكون جيداً في اللعب مثل أبي».

اللاعب الهزيل

البرازيل هي بلد كرة القدم بامتياز. ويشير بيليه الى ان طفولته قد تشربت بهذه اللعبة التي مارسها مع أصحابه في الشوارع والساحات.. وكان حلمه الأول ان يستطيع المشاركة في المباريات التي ينظمها من هم الأكبر سناً منه ولكن لم يكن من السهل الحصول على مكان في فريق، كما يقول ليضيف بأنهم كانوا يعيرونه بـ «الهزيل» وقد حدث وطردوه ذات مرة من اللعب فما كان من ذلك إلا ان أنعش رغبته باللعب أكثر، وكان هو ورفاقه يتجمعون حول ملاعب الأكبر سناً، كان عمرهم ١٠ سنوات تقريباً. الذين يعتبرون أنفسهم ملوك الشارع.

لكن ما ان كانت الكرة تخرج من الملعب حتى يحتفظ بها الصغار ويلعبوا بها فيما بينهم مع إدراكهم ان ثمن ذلك سيكون تلقي العديد من الصفعات ومن الركلات على مؤخراتهم.

كان السؤال الذي يتردد لدى الأطفال باستمرار هو: متى سنلعب المرة المقبلة؟ وأين؟ وبالطبع لم يكونوا يمتلكون اعتدة وألبسة رياضية، بل وحتى لا يمتلكون كرة..

وإنما كان عليهم ان يكتفوا بجورب أو أي قطعة لباس يحشونها بالورق والخرق ويخيطونها كي تشبه إلى أقصى درجة ممكنة الكرة، وكانت الكرة تكبر شيئاً فشيئاً منذ ان يقع بيدنا جورب جديد أو ثوب قديم والذي كنا نأخذه أحياناً عن حبال نشر الغسيل غير المحروسة. كما يقول.

وماذا عن الملاعب؟

يقول: لقد لعبت المباريات الدولية في حياتي بملعب روبنسن اترودا الفاخر، اي في الشارع الذي كنت أسكن فيه. وكانت الأحذية القديمة تأخذ مكان العارضات في كل طرف من الشارع بينما تلعب المنازل دور خطوط التماس الجانبية.

وفي ذلك «الملعب» اكتشف «بيليه» مواهبه. يقول: بالإضافة الى فرح التسلية مع اصدقائي، اكتشفت في ذلك الشارع قدرتي في السيطرة على الكرة كي أرسلها حيث أشاء وبالسرعة التي أشاء، وحتى لو لم يكن ذلك سهلاً بواسطة كرة.جورب». وبالوقت نفسه اصبحت لعبة كرة القدم بالنسبة له أكثر من مجرد تمضية للوقت، اذ غدت «وسواسا» لا يفارقه.

وكانت أمه قد لاحظت ذلك مما أثار لديها قلقاً كبيراً عليه، لاسيما وهي تعرف من تجربة والده.ان كرة القدم مضيعة للوقت.. وبالتالي كان يصعب عليها ان ترى ابنها «ينحدر» نحو نفس المصير واشترطت ان يشارك أخوه زوكا في اللعب كي تتركه يلعب وكان ذلك في البداية امراً مزعجاً،لان زوكا كان صغيراً جداً ولا يصلح في شيء. وكان يجري غالباً نحو المنزل باكياً عندما يعترضه ولد أكبر منه وينتزع الكرة منه، لكن زوكا كان أخي وكان جواز سفري الى اللعب.

طفل هائج خيالي

كان بيليه، كما يصف نفسه، طفلاً هائجاً بمقدار ما هو مسكونا بالخيال. وكان يريد ان يؤسس «نادي كرة قدم حقيقي» مع أفراد «عصابته» الساكنين بالشارع نفسه أو الحي..

ولذلك كان يحرص على تطبيق قواعد اللعب الصارمة في الملعب امام بيتهم تقليداً لأبيه أو لأولئك الكبار الذين كانوا يتدربون في الملعب الحقيقي غير البعيد.. لكن تأسيس نادي حقيقي يتطلب تجهيزات وألبسه وكرة.. لكن أين يمكن الحصول على الأموال اللازمة؟كان لابد من الحصول عليها بكل الأحوال.

كانت الفكرة الأولى التي خرج بها «بيليه» لأعضاء «النادي» الذين كانوا يجتمعون في باحة منزله أوعند أحد «الأعضاء» الآخرين هي جمع صور اللاعبين الكبار، الشائعة آنذاك،والتركيز على النوادي الكبرى في ريو دو جانيرو اوساو باولو، وتشكيل مجموعة كاملة أو مجموعتين بقصد مبادلتهما بكرة حقيقية. قبل الجميع الفكرة ووضع كل منهم ما بحوزته من صور. والتجهيزات؟اقترح احدهم فكرة جمع القطع الحديدية وعلب المحفوظات الفارغة والزجاجات وكل ما هو موجود في الشارع.. ثم إعادة بيعها. واقترح آخر جمع الخشب المكرّس للتدفئة.. والنتيجة؟

يقول بيليه: «لم يتبيّن ان أياً من هذين المشروعين مجدياً ماديا. اذ جمعنا كل شيء من الشارع حتى أبسط النفايات.. ولم يبق شارع أو ساحة لم نمر بها ونتقب عمّا فيها. وكانت النتيجة هزيلة. وقد اكتشفنا اننا لم نكن وحدنا الذين بدأنا البحث عن تلك الكنوز».

سرقة

في الاجتماع الثاني اقترح صبي ان يقوم «أعضاء النادي» ببيع الفول السوداني أمام مدخل السيرك ودار السينما. لكن كيف الحصول على هذه السلعة؟. لقد كشف لهم صاحب الاقتراح عن استراتيجية وهي: «سوف ننشله من مخازن سور وكابانا».. أي من المستودع الموجود بالقرب من السكة الحديدية. تذكّر «بيليه» عندها والدته التي رددت أمام مسامعه باستمرار ان السرقة هي أكبر الخطايا.

لكن صاحب الفكرة شرحها بحماس وقال بان بضعة كيلوغرامات أقل من هذا المستودع الكبيرة ليست جريمة ثم ختم كلامه قائلاً: «إن أولئك الذين لا يريدون عمل ذلك هم مجرد حقيرين صغار: «كانت هذه الجملة كافية كي تحسم الأمر ليبدأ التحضير لـ «الهجوم».

ووقع الاختيار على «بيليه» كي يكون أحد المشاركين في عملية «السطو» الأولى يقول: «عندما قمنا بتمزيق احد الأكياس الهائلة خرج سيل من حبّات الفول السوداني.. وكانت قلوبنا تخفق بشدة ونحن نجمع غنيمتنا. لقد ملأنا جيوبنا وقمصاننا. وكان شركاؤنا ينتظروننا في الخارج لأخذ الحصاد الثمين. لقد نفذنا المهمة بنجاح وخرجنا نجري ونحن نضحك بشكل جنوني لا نستطيع السيطرة عليه».

وبنفس الوقت استمرت عملية جمع الصور.. وتم الحصول على الكرة التي احتفظ بها «بيليه» نفسه على أساس انه هو صاحب الفكرة، ومن يمتلك الكرة هو الكابتن غير الرسمي لنادي سيت دو سيتابرو لكرة القدم - اسم الشارع».

يقول بيليه: «هكذا تشكّل الفريق في النهاية.. وكان ثمرة جهودنا، نحن أبناء الأحياء الفقيرة الذين يريدون أن يلعبوا كرة القدم».

عن جريدة البيان الاماراتية

٦ لحظات خالدة في مسيرة بيليه الكروية

من ظهوره الأول ضد الاتحاد السوفياتي إلى هدفه بقميص كوزموس في مرمى فريقه السابق سانتوس

سكوت موراي

في الوقت الـذي تستعدّ فيه البرازيـل لتوديع الأسطورة بيليـه إلى مثواهِ الأخير ، بعد أن تُوفي الخميس عن عمر يناهـز ٨٢ عامـاً بسبب سرطـان القولـون، اخترنا ٦ من أكـثر المباريـات التي لا تُنسـى للجوهرة السـوداء، بدءاً مـن تألقه السريع في بداية مسيرته الكروية أمام الاتحاد السوفياتـي، وصـولاً إلى الهدف الرائع الـذي أحرزه من ركلة حرة مباشرة في مباراته الأخيرة.

ترك بيليه بصمـة واضحة في أولى مشاركاته مع الفريق الأول، فقـد سجل ٤ أهـداف في أول ظهور غير رسمي له مـع «سانتوس»، كما سجل هدفـاً في أول ظهور رسمي له مـع النـادي. وعـلاوة على ذلـك، سجل بيليـه في غضون دقائق معدودة مـن مشاركته بديلاً في أولى مباراة دولية له مـع منتخب البرازيل، لكنه لم يعلن عـن نفسه بقوة إلا في المبـاراة الثالثـة بـدور المجموعات في «كأس العالم» عام ١٩٥٨. كان الطاقـم الفني لمنتخب البرازيل يعتقد أن بيليه وغارنشيا لا يمتلـكان الخبرة الكافية للمشاركة في نهائيـات «كأس العالم»، لذا أبقاهما على مقاعد البدلاء في المباراة التي فـازت فيها البرازيل على النمسا، ثم المباراة التـي تعادلت فيها مـع إنجلترا سلبياً، والتـي كانت المرة الأولى التـي يفشـل فيها المنتخـب في التسجيـل بإحدى مباريات «كأس العالم».

كان هـذا الفشـل النسبـي كافياً لكـي يجعل المديـر الفني لراقصـي السامبـا فيسنتـي فيـولا يعيـد التفكيـر في خياراتـه، لذا أشرك الثنائي قليل الخبرة بيليه وغارنشيا في المبـاراة، وبعد مـرور ٤٠ ثانيـة فقط من اللقـاء سدّد غارنشيا كرة قوية اصطدمت بالقائم. وبعد دقيقة واحدة فقـط فعل بيليه الشـيء نفسه. ولم ينجـح القائم في منع الكـرة من دخـول الشبـاك أكثر مـن ذلك، فبعـد ٦٠ ثانية أخـرى تمكّن المهاجـم البرازيلـي فافا مـن تسجيل هدف في مرمى الاتحـاد السوفياتي، الـذي كان أحد المرشحين للفوز باللقب قبل بدايـة البطولة. وقال غابرييل هانوت، الصحـافي في صحيفـة ليكيب الفرنسيـة وصاحب فكرة إقامـة بطولة «دوري أبطال أوروبا»: «هذه أعظم ٣ دقائق لعبت في تاريـخ كرة القـدم علـى الإطلاق»، لكـن الأكثر أهميـة حقـاً هو مـا وصل إليـه بيليه ومنتخـب البرازيل خلال السنوات الـ١٠ التالية.

لم يكـن بيليـه هـو السبـب الوحيـد في فـوز البرازيـل بـ«كأس العالم١٩٥٨ »، حيـث تألّق لاعبـون آخرون مثل فافا وديـدي وغارنشيا، لكـن بيليه أعلن عـن نفسه بقوة في هـذا المونديـال وأظهـر للجميـع لمحات مـن مستودع موهبته الـذي تفجّر بعد ذلك ليمتع عالم كرة القدم بأسره بمهاراته وإمكانياته الفذة. سجل بيليه الهدف الوحيد في مبـاراة الدور ربع النهائي، بعدما تسلّم الكرة على صدره وسدّدهـا بقوة على الطائر لتدخل شباك منتخب ويلز. ثم سجل ٣ أهداف (هاتريك) في مباراة الدور نصف النهائي أمـام فرنسا، وعـاد ليسجل هدفـين في المبـاراة النهائية أمـام السويد، بمـا في ذلك هدف من تسديـدة رائعة على الطائر. ولو لم تصطدم تسديدة أخرى بالقائم لكان بيليه قد احتفل بإحرازه ثلاثية أخرى.

وفور نهاية المبـاراة وفوز البرازيل بـ«كأس العالم» للمرة الأولى في تاريخها، دخل بيليه في نوبة بكاء هيستيرية. ولا يـزال بيليـه أصغر لاعب يفوز بكأس العالم ويسجل في المبـاراة النهائية بعمر ١٧ عامـاً و٢٤٩ يوماً، ثم يأتي في المركـز الثاني النجم الفرنسي كيليان مبابي عندما قاد منتخـب فرنسا للفـوز بالمونديـال والتسجيـل أيضاً في المبـاراة النهائية في عام ٢٠١٨ وهـو في التاسعة عشرة مـن عمره. وعلاوة على ذلك، لا يـزال بيليه هو آخر لاعب يسجـل ٣ أهداف في مباراة واحـدة مع منتخب البرازيل في نهائيات «كأس العالم».

لم يضيـع بيليه أي وقـت، وترك بصمة كبـيرة في «كأس العـالم ١٩٦٢» منذ البداية، ففي المباراة الأولى للبرازيل، والتـي كانـت أمـام المكسيك، تجـاوز ٦ لاعبـين وحارس المرمـى ووضع الكرة في الشباك، وأظهـر في ذلك الهدف مزيجـاً من السرعة الفائقة والقـوة الهائلة والمهارة الفذة بشـكل غير مسبـوق في ذلك الوقت. لكـن للأسف تعرّض بيليـه للإصابة في المباراة الثانية ضـد تشيكوسلوفاكيا، ولم يتمكن من لعبِ أيةِ مباراة أخرى في البطولة. لكن عام ١٩٦٢ شهـد تألقاً لافتاً من جانب الأسطـورة البرازيلية، فقـد انتهت مباراة الذهاب لكأس الإنتركونتيننتال بفوز فريقه سانتوس، بطل أميركا الجنوبية، بنتيجة ٣ أهداف مقابـل هدفين على بطل أوروبا نادي بنفيكا بقيادة النجم البرتغـالي أوزيبيـو. وكان بنفيـكا واثقاً مـن قدرته على حسـم نتيجـة مبـاراة الإيـاب في لشبونـة، وعندما جاء سانتوس إلى البرتغال وجد لافتات تَسخر من البرازيليين مكتوبـاً عليهـا «أبطال العـالم!» (في إشـارة إلى غطرسة البرازيـل قبل الخسارة في المبـاراة النهائية لكأس العالم عام ١٩٥٠ ضـد أوروغواي، ووعْد بيليـه والده المذهول بأنـه سينتقـم وسيقود بلاده للفوز بالمونديـال يوماً ما).

تألّق بيليه في مباراة العودة أيضاً وسجل ثلاثية أخرى، وأمتع الجميع برشاقته وسرعته، وقاد «سانتوس» للفوز علـى مضيفه بـ٥ أهداف مقابل هدفـين. ووصف بيليه ما قدّمـه في هذا اللقـاء بأنـه «أفضل مبـاراة في مسيرتي»، و«قطعة فنية من كرة القدم لن أنساها أبداً».

تعرَّض الأسطـورة البرازيليـة لإصابة قويـة في الركبة بعد التدخل العنيف عليه من قِبل المدافع البرتغالي جواو موراييس، ووُدّعـت البرازيلَ «مونديـال ١٩٦٦» من دور المجموعـات، وأعلن بيليـه اعتزاله اللعب الـدولي. وقال المستشـار الطبـي لمنتخـب البرازيـل الدكتـور هيلتـون غوسلينـغ: «هنـاك أسلـوب لعب جديد أصبـح في صالح أوروبـا. لا أعتقـد أنه سيمنـح الجمهور القـدر نفسه من المتعة التي حاولنا تقديمها خلال السنوات الـ٨ الماضية. يبـدو أنه مـن الضـروري الآن أننـا سنضطـر إلى زيادة التركيـز على الجانب البدني من اللعبة، والتركيز بدرجةٍ أقـل على الناحية الفنية». لقـد شهد هذا المونديال تراجعاً واضحـاً لبيليـه ومنتخب البرازيل، لكنهمـا عادا بعد ذلك لكتابة التاريخ من جديد.

كان المديـر الفنـي للمنتخـب البرازيلـي آنـذاك جـواو سالدانهـا، الذي كان يعمل في البدايـة صحافياً ثم تحوّل إلى التدريـب، شخصاً غريب الأطـوار، فقد أعلن أن بيليه لم يعـد كمـا كان، ويجـب استبعـاده مـن قائمـة المنتخب البرازيلـي المشاركة في نهائيات «كأس العالم»، ودخل في خلاف مـع رئيس البـلاد (الديكتاتور) إميليـو ميديسي، الـذي كان يـرى أنـه يجب ضـم بيليـه. وعندمـا تعرّض سالدانها للانتقـادات في الصحافة من قِبل سلفه دوريفال يوسترِيتش، ذهب للبحـث عنه في بهوِ فندق وهو يحمل مسدساً محشواً! وسرعـانِ ما أقيل سالدانها من منصبه، وعُـيِّن ماريو زاغالـو بدلاً منـه، وعاد بيليـه إلى صفوف المنتخـب البرازيلي ليقـدم ملحمة ما زال العـالم يتذكرها جيداً في هذا المونديال. وفي المباراة النهائية ضد إيطاليا قفـز بيليـه في الهـواء عاليـاً وأحـرز الهـدف الافتتاحي لراقصـي السامبـا، ثـم مـرَّر أعظـم تمريـرة في التاريخ لكارلوس ألبرتو، وقاد منتخب بـلاده للفوز على إيطاليا بـ٤ أهداف مقابل هدف وحيد.

ذهـب الأسطورة البرازيلية إلى أرض الأحلام والفرص في الولايـات المتحـدة الأميركيـة التـي كانـت تبحث عن وضـع أسـس جديدة لنشر كـرة القدم بالبـلاد، وكان هو أول نجـم عالمي حقيقي في عالم اللعبـة يحطّ قدمه ليقود نـادي نيويـورك كوزمـوس للفـوز بالبطولـة السنويـة لـ«دوري أمـيركا الشمالية لكرة القدم» عـام ١٩٧٧ بعدما سجـل هدفـاً رائعـاً من ركلـة حُـرة مباشرة من علـى بُعد ٣٠ يـاردة في مرمـى فريقه القديم سانتوس في مباراته الأخـيرة في عالم كـرة القدم، التي شهـدت تشجيعاً هائلاً للملك البرازيلي.

عن الشرق الاوسط

بيليه.. سيبقى أسطورة خالدة

خوسيه ميغيل ويزنيك

اعترف بيليه ذات مرة بأنه كان منزعجاً من معضلة لازمته لفترة طويلة؛ تلك التي لن يكون قادراً على حلها إلا عندما يلقى وجه ربه، ويمكن حينئذ أن يطلب تفسيراً.

ما ابتلي به هو الشعور بالهوية المزدوجة: كان هناك «بيليه»، أعظم أسطورة رياضية حية في القرن العشرين على مستوى العالم، ولكن أيضاً هناك إدسون أرانتيس دو ناسيمنتو (اسمه الحقيقي)، الرجل العادي الذي كانت مهمته مراقبة بيليه، الذي يتحمل عبء وجوده شبه الطبيعي. شعر بيليه، الذي توفي يوم الخميس عن عمر يناهز ٨٢ عاما، ربما بشيء من الفكاهة، أنه كان يستحق نوعاً من الإجابة عن سبب منحه هذا المصير المزدوج، متمسكاً بمكانة أسطورية في نظر العالم، ومع ذلك لا يزال يشعر بأنه إنسان أكثر من اللازم. وعند وفاته، تساءل: من منهما سيموت؛ إذ إن كلاً من الأسطورة المتجسدة وأبسط المخلوقات كانا موجودين بداخله؟

لقد اكتسب بيليه – أكثر شخصية بروزاً وبراعة وإتقاناً ممن وطئ بقدميه على أي ملعب لكرة القدم – شهرة كبيرة في سن مبكرة للغاية، غير مدرك ذلك في مستهل حياته الاستثنائية. ووفقاً له، كان هدفه الشخصي هو تحقيق العظمة غير المحققة التي لمحها في والده، الذي كان لاعباً مثيراً للإعجاب، لكنه غامض، وتخليصه من مسيرة كرة قدم مهنية فاشلة. وقبل أن يدرك ذلك، كان بمثابة «الصنم الأبرز» في عالم الرياضة الأكثر شعبية على وجه الأرض، ووصل بذلك إلى نهائيات كأس العالم لكرة القدم عام ١٩٥٨، في سن السابعة عشرة فقط.

يرجع كل ذلك إلى عصر ماض من البراءة الرياضية. كانت مباريات كرة القدم تُذاعُ على الراديو، مما حولها على الفور إلى سرديات قصصية شفهية، غارقة في خضم الأساطير والخرافات. اعتمدت مسيرة بيليه المهنية أولاً على الإذاعة، ثم التلفزيون، مما عزّز شهرته هناك في ١٩٧٠، عندما حصل المنتخب البرازيلي على لقب كأس العالم الثالث للبلاد. ولا يوجد سجل مرئي لجانب كبير من حياته المهنية، بما في ذلك بعض أعظم أهدافه، ولكن طيلة ستينات القرن العشرين، كان بيليه معروفاً بملك كرة القدم إجماعاً، الأمر الذي عزّز من عظمته بالنبل الطبيعي لشخص أدرك قيمة شهرته في مقابل كل فلاح تعرف عليه.

لم يجمع أي شخص آخر بين سرعته ومهارته في المراوغة، وقدرته على تسديد الأهداف بكلتا القدمين، ولعبه الأرضي والهوائي الدقيق والمدمر، وحسه السحري بالتوقيت مع الكرة، وفهمه الفوري لما يجري حوله؛ كلها سمات ترتكز على الرياضة القوية والمتوازنة بشدة. ومع ذلك، فإن تأثير بيليه ليس مجرد مجموعة، رغم تفردها، من المهارات القابلة للقياس الكمي.

قال شاعر ذات مرة إن بيليه بدا وكأنه يسحب الملعب برفقته صوب الهدف المعاكس، كامتداد لجلده. واعترف فيلسوف، بطريقة هزلية، بإمكانية إلقاء لمحات وامضة من «المطلق» في شخصه. فالجمال والذكاء الذي يتمتع به جسده وهو يعمل، إضافة إلى عينيه الثاقبتين، وعدم القدرة على التنبؤ بحيله؛ قد جعل ذلك بيليه يبدو وكأنه يعمل على تردد مختلف عن اللاعبين الآخرين، ويشاهد بحركة بطيئة نفس اللعبة التي يشارك فيها بسرعة عالية، في حين كان الآخرون من حوله يفعلون العكس.

سرعان ما اكتُشفت الظاهرة، ثم احتضانها في كل قارة، قبل فترة طويلة من إطلاق حملات التسويق الواسعة النطاق؛ ذلك لأن وجوده يرتبط بالعالم من خلال اصطفاف رمزي من طبيعة مختلفة. فإلى جانب الاعتراف بهذا الرجل الأسود المحبوب وتبجيله في الدوائر التقليدية لكرة القدم الأوروبية، فقد كان يُنظر إليه ويُحتفى به ويحبه الناس في أكثر أركان العالم تنوعاً، بوصفه تأكيداً بليغاً لعظمة تتجاوز أي سيادة سياسية واقتصادية.

في البرازيل، تزامن وصول بيليه إلى المسرح العالمي مع وصول العاصمة الجديدة للدولة، برازيليا، التي تأسست عام ١٩٦٠، وهندستها المعمارية المبتكرة، ونجاح موسيقى البوسا نوفا. قيل إن هدف بيليه، وهو أحد منحنيات أوسكار نيماير، أو أحد ألحان توم جوبيم التي غناها جواو غيلبرتو، كان بمثابة «وعد بالفرح» من بلد مُهمش غريب بدا أنه يقدم للعالم ممراً سلساً، وفي الوقت نفسه عميقاً، من اللغة العامية الشعبية إلى الفن الحديث، من دون تكاليف الثورة الصناعية الباهظة. وقد منحت الديكتاتورية التي تلت ذلك، بدءاً من ١٩٦٤، مؤشرات متكررة ومستمرة حتى يومنا هذا، على أن هذا المسار لم يكن مباشراً أو بسيطاً للغاية، على أقل تقدير.

ولم يتبنَّ بيليه – الذي يتصرف وفقاً لما تمليه عليه التقاليد الاجتماعية البرازيلية الودودة، ويحجب العنصرية البنيوية الماكرة وعدم المساواة الاجتماعية – حالة التمرد المحرضة لمحمد علي كلاي، أو التعرجات السياسية والعاطفية التي اتسم بها الأرجنتيني دييغو مارادونا، كما لم يتبع أسلوب الكرنفالية والقوس المأساوي للاعب غارينشا، النجم البرازيلي الكبير الآخر من أبناء جيله. بدلاً من ذلك بقي شاهداً ضمنياً وعظيماً على البراعة السوداء في اللعب والعمل.

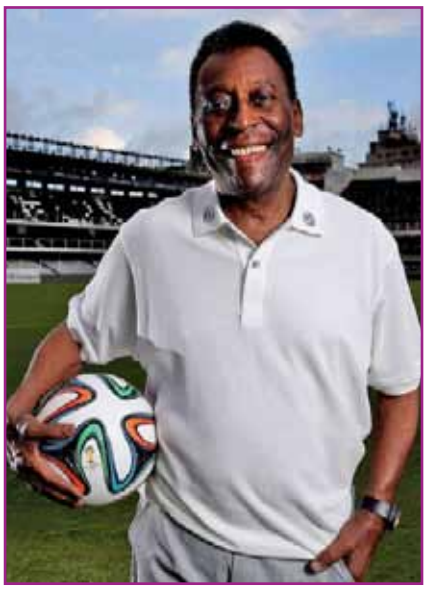

كان مارادونا أكثر عاطفية وتلقائية، وربما تسييساً، من بيليه، ولم يتوقف قَطّ عن أن يكون مارادونا، على حساب أن يلتهمه لهيب مجده وسقوطه. صعد غارينشا ومارادونا وسقطا من دون أن يتمكنا من الانفصال عن التجربة.

في الأثناء ذاتها، كان لدى بيليه «إدسون». من بين عباقرة عصرنا، يحظى بحماية من قرينه المزدوج، الذي يتعامل مع الأحداث الحياتية الطارئة والمآسي الشخصية على نطاق أدنى. حتى لو لم تُتح للأجيال الشابة فرصة المنافسة وجهاً لوجه مع مظهره الرائع الذي لا يوصَف في الملعب، فقد نجا بيليه من الدمار ليبقى خالداً في قلوب محبيه.

× خدمة «نيويورك تايمز» عن صحيفة الشرق الاوسط

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

بيليه.. «ملك» كرة القدم الاستثنائي

ماك مارجوليس

حساب الأرقام هو أبسط طريقة لرصد إنجازات «إيدسون آرينتش دو ماسيمنتو»، أو اللاعب البرازيلي منقطع النظير، بيليه. فقد سجل بيليه في عقدين من الزمن ١٢٨٣ هدفاً على الرغم من أن الرقم الدقيق في بعض الأحيان محل خلاف. فمنها ١٠٠٠ هدف قبل أن يبلغ الثلاثين عاما و٩٥ منها وهو يرتدي قميص المنتخب الوطني. لقد ساعد في حصول بلاده على كأس العالم ثلاث مرات من خمس مرات حصلت فيها البرازيل على الكأس، وهو إنجاز لا يضاهيه أي لاعب آخر حتى يومنا هذا. لكن كرة القدم ليست سجل تدوين، وسحر بيليه لا تسعه غرفة جوائز. وحين قتله سرطان القولون في نهاية المطاف يوم ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٢ عن عمر يناهز ٨٢ عاما، فقدت البلاد جزءًا من روحها. فمن عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٧٧، أضفى بيليه أبهة وجلالا على الرياضة الأكثر شعبية في العالم. كما أصبح العلامة المميزة الأكثر استدامة للبرازيل، والنجم السمح بابتسامته المتألقة الذي مثل قوة بلاده الناعمة ومزج في بهجة بين اسم البلاد واسمه.

ولكم أن تسألوا النيجيريين الذين شهدوا المقاتلين في حربهم الأهلية الدموية يلقون أسلحتهم لفترة وجيزة لمشاهدة بيليه أثناء مباراة ودية عام ١٩٦٩. أو اسألوا جنود حفظ السلام التابعين للأمم المتحدة بقيادة البرازيل الذين روجوا في عام ٢٠٠٤ ل «مباراة سلام» في هايتي التي مزقتها الحرب، حيث نظموا استعراضا لنجوم منتخبهم الوطني على سيارات مصفحة في شوارع بورت أو برنس، في رهان جريء على هذا النوع من دبلوماسية كرة القدم التي اخترعها بيليه. صحيح أن الهدنة لم تدم طويلا، لكن ظلت هالة بيليه باقية، ليلقى المسافرون البرازيليون هناك حفاوة باستمرار. لكن التأثير الأكثر استدامة لبيليه كان في وطنه. فقد كان أكثر من نجم رياضي، بل كان رمزا لأمة في حالة تحول. نشأ بيليه في عصر كانت فيه البرازيل تنطلق نحو طموحات دولية وصناعة عالمية المستوى. وبفنونه ومهاراته فوق أرض الملعب، جعل بيليه حركات مستحيلة تبدو سهلة وسدد ركلات نصف دائرية نحو المرمى من زوايا شبه مستحيلة، بالقدم اليمنى واليسرى، ليحول حتى التسديدات الضائعة إلى فن جميل. وبدا وكأنه رمز راقص للثقة والطموح البرازيلي. وفي الثمانينيات من القرن الماضي، كانت دور السينما البرازيلية تشغل مقاطع ضعيفة الجودة لمباريات كرة القدم الكلاسيكية جعلت الجمهور يهتف «كم هذا رائع!» وكانت هذه الرياضة وذاك الولع هما ميزا البرازيل وبيليه هو الرمز. ولم يستغل بيليه جاذبيته لتحقيق غايات سياسية. فقد أصر على رفض دعوات ترشيحه لمنصب أو حتى الانضمام إلى حزب. وود الجنرالات الذين أداروا البرازيل من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٨٥ لو فعل ذلك. فقد أرادوا أن يضيف بطل حضاري أصيل لمعاناً شعبياً لنياشينهم. وكان من سوء حظ بيليه أن فترة هيمنته على أرض الملعب تزامنت مع انهيار الديمقراطية. ودأب المجلس العسكري الحاكم على الاحتفاء ببيليه وخاصة الجنرال إميليو جارستازو ميديسي، أشد المتشددين تشددا، الذي كان

يعد انتصارات بيليه وابتسامته السمحة من المكاسب الجانبية له.

وأدى هذا الاهتمام الشديد اللاعب البطل إلى توجيه انتقادات لبيليه ومقارنات ليست في صالحه، مع محمد علي، معاصره الدولي ونظيره في المكانة الذي جعلته صراحته ضد العنصرية وحرب فيتنام نموذجا للتحدي السياسي وهدفا للحقد الرسمي. وكتب جوكا كفوري، محلل الرياضة البرازيلي المخضرم، يقول إن خوف بيليه ربما «منعه من أن يكون مواطنا أكثر نفوذا مما كان عليه». لكن بيليه كان نجما وليس قديسا. كان بطل كأس العالم في السابعة عشرة من عمره، وبعد فترة وجيزة توجته وسائل الإعلام والمشجعون «ملكا» لكرة القدم. وكان يعشق توزيع التوقيعات والتقاط صور وهو يرتدي تاجا مزيفا. وتحدث عن نفسه بصيغة الغائب. وأنجب سبعة أطفال. خمسة منهم كانوا بجانبه في لحظاته الأخيرة. صحيح أن بيليه لم يعارض الجنرالات قط، لكنه لم يروج لهم أيضا. وصحيح أن قبوله دعواتهم أصابت المعارضة الديمقراطية في البلاد بالإحباط، لكن تصريحات بيليه الأكثر بلاغة كانت دوما على أرض الملعب.

وهكذا تفوقت عظمة بيليه على ملفه السياسي المبهم. ويمكن القول إن ألمعيته في اللعب ساعدت في إصلاح الانقسامات التي أحدثتها السياسة، فحتى المنافسين الأقوياء للجنرال لم يسعهم إلا التوقف عن الشجار لترتفع عقيرتهم بالهتاف عام ١٩٧٠ حين حصد للبرازيل كأس العالم للمرة الثالثة في مكسيكو سيتي. وبالمقارنة مع البرازيل اليوم، التي مزقها الشقاق الحزبي، كان بيليه عاملا محفزا. وكان أيضا منارة. فقد أخبرني عالم الأنثروبولوجيا البرازيلي روبرتو دماتا ذات مرة أن كرة القدم ليست مجرد مصدر رزق وترفيه، بل لعبة يعرف البرازيليون أنها عادلة ولديها قواعد شفافة ويتم لعبها على أرض متكافئة. وما يهم في الملعب هو الطريقة التي تلعب بها وليس لونك أو حسابك المصرفي أو علاقاتك. وكتب «دماتا» يوم الجمعة ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٢ يقول «أصبح بيليه ملكًا لأنه عمل من أجل هذا بوضوح، في ملعب أخضر مفتوح». وفي بلد ممزق اجتماعيًا وغير متكافئ مثل البرازيل، حيث المال هو القوة والسياسة تمثل لعبة خداع دوما، قدم بيليه خيارا آخر. وما زال يمثل هذا الخيار.

«واشنطن بوست»عن ا لشرق الاوسط